الفصل الأول

العلاقة بين التوطين والتنمية البدوية

ترتبط مشكلة البحث والمتعلقة بتوطين مجموعة من البدو فى منشية السادات بمدينة الزقازيق بما يسود المجتمعات المختلفة من وجود ظاهرة لتوطين البدو ولأسباب اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية ... الخ . ولذلك فقد استهل الباحث دراسته لمشكلة بحثه بالقاء الضوء عن ظاهرة التوطين البدوى لتمثيل خلفية لكافة القضايا التى يمكن أن تثار عند مناقشة المشكلة أو بمعنى آخر تعد مدخلا أساسيا لكافة جوانب التطبيق ، علما بأن توطن البدو ـ موضوع الدراسة ـ جاء اختياريا وبمحض ارادتهم على عكس التوطن الاجبارى الذى يتم وفق سياسة مرسومة لهذا الغرض اى أن الدافع الى التوطن جاء من داخل نفوس هؤلاء البدو وهذا يمثل عنصرا ايجابيا كما انه يحمل مضمونا ثريا بالقضايا التى يمكن مناقشتها فى ضوء النظرية السوسيولوجية . وفى نفس الوقت احتاج هذا التوطن الاختيارى الى شكل من أشكال التنمية كما لاحظ الباحث ومن هنا يجىء التساؤل وهل هؤلاء البدو على استعداد لقبول مشروعات تنموية من أجل الارتقاء بمستوى أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية أن الاجابة على هذا السؤال هى مفتاح قضية المناقشة وهى تعبر عن وجود تغير مصاحب لهذا التوطن أم لا وما هو مسار التغيير ونتيجته وكان هذا سوف تكشف عنه نتائج الدراسة الميدانية .

ولنبدأ فى هذا الفصل بدراسة ابعاد ظاهرة التوطين البدوى فنشير بادىء ذى بدء الى تصور المجتمع البدوى وما هى ابعاد التوطين . وهل له مشكلات واذا كان الامر كذلك فكيف يمكن علاج هذه المشكلات وما دور النتيجة فى ذلك .

المجتمع البـدوى :

عنـد دراسة خصـائص المجتمع البـدوى يشير الباحث الى طبيعة هذا المجتمع وتكوينه وما يتصل بذلك من دراسة لظاهرة البداوة وانماطها وخصائصهـا التى تشـكل طبيعة هـذا المجتمع ومـدى انطباق ذلك على المجتمع البدوى العربى الطابع ٠

طبيعة المجتمع البـدوى ـ هناك تعريف لهذا المجتمع مؤداه انه ذلك المجتمع الذى يشكل تكوينه البنائى مجمـوعة القبائل المحليـة التى تسيطر على انمـاط حياتهـا وأشكال سلوك افرادها نمـاذج تقليـدية من عادات واعراف بدائيـة الطابع قيست بمظاهر حيـاة المجتمع المعاصر فى الريف والحضر بمعنى اخر أن نمط الحياة البدوية تتميز بالبساطة وعدم التعقيد فضـلا عن تداخل وتساند وتشابك علاقاتها الاجتماعية ونظمها التى تتعدد وظائفهـا بحسب درجة تقدم او بدائيـة الحيـاة القبلية ، وعلى اى حال فان هذه الحالة الحضارية تمثـل مرحلة اقـل تقدما عن حالات حضـارية اخرى بسبب انتشار ظاهرة البداوة فيهـا(١) ومعنى ذلـك ان الربط بين بناء هـذا المجتمع البدوى ومظاهر حضارية يشكل فى مجموعة الخاصية الجوهرية بطبيعة هـذا المجتمع ومن هنـا وضعناه بالبدائيـة بالمقيـاس الحضارى المعاصر ٠

ذلك أن البـدو كما هو معروف عنهم بعيدون عن المؤثرات المجتمعية الخارجية لأنهم اساسا منعزلون ويؤثرون هذه العزلة التى تشـكل حاجزا منيعا ضد من يفكر فى الاغارة عليهم حضاريا من الشعوب الراقية ٠ وهم منعزلون لأنهم يعيشون فى اطار نظام قبلى لم يتطـور الا فى صعوبة بالغة لانه نظـام يقدس الماضى ويخضع لقيـود البيئة واعرافها ومن هنـا كان الحـكم على مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية لهذا المجتمع البدوى ٠

واذا ما درسنا خصـائص الانسان فى اطار هذه الظروف القاسيـة

---

(١) صلاح الفوال : علم الاجتمـاع البدوى دار النهضـة العربيـة الطبعة الاولى ١٩٧٤ ص ٧٤ ٠

لحياة مجتمع البدوى أمكن القـول أنه انسان حـرم من وسائل الحيـاة الكريمة وجاهل لابسط أساليب الصحة العامة ، فضـلا عن خضوعه التام لاحكام البيئـة فى صحته ومرضه · وفى مأكله ومشربه فهـو أسير هذه يتعرض للمجاعات فى مواسم الجفاف وقلة الامطار ومن هنا كانت حياته بسيطة فهو رأعى متنقل حيث الكلا والاعشاب كى يغذى قطعيه من المواشى والاغنـام التى يتغذى هو ببعضها لبنا ولحما عن بعض التمور ومنتجـات الحليب · أثاث بيتـه تبدو عليـه البساطة فهـو يتألف من الخيمـة التى ينسجها من أصواف وأشعار أنعامله ولا يذهب الى الحضـر الا للضرورة القصـوى حيث بيع الماشيـة ومنتجـات القطيع وشراء بعض الاقمشـة القطنية الزهيدة الثمن والاحذية الجلدية الغليظـة وبعض المواد الغذائيـة كالسكر واللبن والشاى والتبغ(٢) فكأن ثقـافة هذا الانسان البدوى تميل الى البساطة والى قيـود البيئة الطبيعية والاجتماعية ولا يملك فكاكا من هـذه القيود بأى حـال من الاحوال · ولذلك نجـده صارما فى نظرته الى الامور ، فظا فى تعامله مع الآخرين ، يحكم على الأمور من واقع ما أملته عليه الاسرة أو القبيلة من توجيهات فى هذا الشأن ·

ويحتفظ الانسان البدوى من خـلال النظام القرابى بوحدة حضارته ذلك لانه يرتبط بالقبيلة ويشعر تجـاه أفرادها برابطـة قوية وان كان ذلك اخضاعه للقـانون الوضعى المألوف مثـلا ، فضلا عن ذلك ترتبط درجـة تمثـل مشكلة لسياسـة الدولة التى ينتمى اليهـا اذا فكرت فى توطينه أو تحضر هـذا الانسان البـدوى وحيث يتجه الى الزمان ومن هنـا تمسك بعادات وتقاليـد آبائه وأجـداده · كمـا عرف عن البدوى كرهه الشديد للاعمال البدوية فضـلا عن حياة المدنيـة التى تعتبر قيـدا على تصرفاته مما يتنافى مع عاداته ، الى جانب ذلك فان القيود تمنعه من الزواج خارج القبيلة وهو يشعر اذا استقر فى مكان معين يتيح له الزواج وايجاد علاقة سيئة بينه وبين المجتمع فينفر من هذا الاستقرار ويخشى نتائجه ·

---

(٢) د· فوزى خليل البرازى : البداوة والاستقرار فى العـراق · معهد الدراسات العربية ١٩٦٩ ص ٥ ·

ويضاف الى كل ما تقدم أن انتشار الامية وعدم تنوع المظاهر النشاطية للانسان البدوى ضرب ذلك حوله مشاعر من العزلة وأضعف ثقته بالمجتمع القوى الذى ينتمى اليه(٣) وليس من شك فى أن هذه المظاهر الانسانية لحياة البدوى تمثل جوهر حياته الاجتماعية والاقتصادية والدينية ... الخ وأن عنصر الابتكار أو التجديد لا يمكن افتراض انه سوف يأتى من داخله بل لابد أن يأتيه من الخارج اذا أراد تغيير نمط هذه المظاهر ٠

البداوة ـ وفضلا عن ذلك فان حياة الانسان البدوى بهذه الصورة هى انطباع الظاهر البداوة التى تحكم سلوك وعادات هذا البدوى ، والبداوة نمط حياة معروف لدى البشرية قد تمتد هذه البداوة الى البشر فيطلق عليهم البدو ، فضلا عن ان لها نمط مادى هى البيئة الصحراوية مكان تواجد هؤلاء البدو وتجمعهم فى قبائل واذا قلنا بالصحراء قلنا بالعزلة المكانية ومن ثم الحضارية وعلى هذا أصبحت البداوة تمثل قطاعا معينا من قطاعات المجتمع القومى(٤) ٠

ومن خصائص البداوة عند ابن خلدون أنها تشتمل على العديد من المتناقضات فالبدو شجعان لكنهم نهاب لاموال غيرهم من البشر ، انهم على خلق كريم لكنهم قطاع طريق وهم أهل خير ومروة لكنهم يعشقون الحرب ٠ وهذه المتناقضات هى من صنع البيئة وليس من صنع البدوى نفسه ، والصراع هو سمة العلاقة بين البداوة والتحضر وهو ظاهرة محتمة كما قد يكون الصراع فى داخل الانسان البدوى وقبيلته ورغم تغلب البداوة على الحضر سرعان ما يركن الانسان البدوى الى الدعة وتتغلب عليه الحضارة اذ قد أصبح الحضر منطقة جذب للبدو(٥) ٠

ومن أنماط البداوة ـ بداوة الجمع والالتقاط ، وبداوة الصيد ، اما

---

(٣) د٠ صلاح العبد : التنمية والتكامل بالوطن العربى ٠ معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٤ ص ٨٦ ٠

(٤) صلاح الفوال : مرجع سابق ص١٥٦ ٠

(٥) صلاح الفوال : مرجع سابق ص ٧٨ ٠

عن طبيعة الترحال فقد يكون ترحالا عاديا أو اضطرابا موسميا دوريا من خصائصه البساطة وعدم الاستقرار والحذر والتجمع القبلى مع الاستجابة البطيئة للتغيرات الحضارية(٦) ٠

وهناك من يرى أن الانسان بدأ حياته بدويا فى عصور ما قبل التاريخ حيث كانت هذه الحياة تعتمد على التنقل ولا يزال هذه الظاهرة هى السمة الاساسية للبداوة ، والبداوة ليست التنقل المطلق غير المحدود أو غير المقصود ، انما هى تنقل يستهدف التحرك الى مواضع مؤقتة يتوقف مدى الاستمرار فيها كمية الموارد المعيشية المتاحة فى تلك المواضع وعلى مدى توفر الوسائل الفنية المستخدمة فى استغلالها ومدى توفر عنصر الامن الاجتماعى بها ٠

وجدير بالذكر أن هناك فرق واضح بين البداوة والهجرة وذلك لان الهجرة تبدأ من نقطة انطلاق وبداية ثابتة سواء كانت الهجرة مؤقتة أو دائمة ، ونقطة الانطلاق والبداية فى البداوة دائرية بمعنى أنه يصعب التفرقة بين المستقر والمهجر فى حالة البداوة ٠ ولعل الزراعة المتنقلة والصيد والرعى تنطوى بطبيعتها على البداوة لانها تقوم على التحرك والتنقل خاضعة فى ذلك للطبيعة لانها هى التى تسيرها حيث تريد لاحيث يريد الانسان ٠

ولقد استمرت البداوة المعاصرة فى صورة الرعى أكثر منها فى الصورة الاخرى كما ارتبطت البداوة الرعوية فى الاذهان بالصحراء وخاصة فى المنطقة العربية ٠ ولذا كانت البداوة ليست وفقا على الصحراء فانها ليست كذلك وفقا على العربى ذلك أن تصور البداوة يرتبط فى الاذهان بالعربى « والجمل » ومع ذلك فان البداوة اليوم فى العالم بين غير العرب هى أضعاف أضعافها بين العرب واذا كان الجمل هو عنوان البداوة فى منطقتنا فان البقر مثلا هو عنوان للبداوة فى أفريقيا ٠ وتوجد قبائل ليست عربية ولكنها تنتسب الى العرب بحكم الحضارة فهم مسلمون مثل قبائل البربر فى الصحراء الكبرى ومثل البيجا فى شرق السودان٠

---

(٦) صلاح الفوال : مرجع سابق ص١٥٩ ٠٠

وقد ظلت البداوة تمارس نفوذا خلقيا منفصلا على الحيـاة العربية فمازال من النظم الاجتماعية وأنماط السلوك والقيم البدوية تتعايش حتى فى العواصم والمدن العربية المعاصرة جنبا الى جنب مع التطورات والقيم العربية وتكاد تنفرد بشخصيتها فى المجتمعات العربية التحررية(٧) ٠

أما عن ظاهرة العصبية فى البـداوة كما يشير الى ذلك ابن خلدون فتبقى النسب محفوظا وصريحا فى الحيـاة البـدوية ، والعصبية المتولدة منه تكون قوية فى تلك الحيـاة الا أن النسب يفقد صرامته والعصبية تفقد قوتها فى الحياة الحضرية وذلك لسببين :

١ ـ أن حياة البداوة تتضمن شيئا من الاعتزال ، فاختلاط الانساب يكون قليـلا فيهـا بطبيعة الحـال وطبيعـة الفقـر يكاد الشظف والسغب « والعيش فيه » صار لهم الفـا وعادة وربت فيه اجيالهم حتى تمكنت خلقا وجبلة ٠ فلا تبرع اليهم أحـد من الامم أن يساهم فى حالهم ولا يانس بهم أحـد من الاجيـال ٠٠ فيؤمن عليهم لاجـل ذلك من اختـلاط انسابهم وفسادها ص ١٢٩ ٠

٢ ـ أن حالة البـداوة تقتضى بطبيعتهـا وجود عصبية قوية لان الدفاع عن الحى لا يتم الا على أيدى « انجـادهم المعروفين بالشجـاعة ، ولا يصـدق دفاعهم وذيادهم الا اذا كانوا عصبية وأهـل نسب واحـد ، لانهم بذلك تشـتد شوكتهم ويخشى جانبهم » أما المنفـردون فى انسابهم « فلا يقدرون على سـكنى الفقر » لانهم يصبحون « طعمـة لمن يلتهمهم من الامم سواهم » ص ١٢٨(٨) ٠

وعلى هـذا الأساس فان هناك علاقة وطيدة بين حالة البداوة وبين ظهور شكل من أشكال العصبية التى تعتبر فى واقع الامر خافيـة ملازمة لها فلا يمكن وجود البداوة الا اذا لازمتها العصبية والا افتقدت كينونتها كظاهرة تسود المجتمع البدوى بعامة اما عن لمـاذا تلازم العصبية البداوة

---

(٧) د٠ صلاح العبد : مرجع سابق ص٨٥ ٠

(٨) ساطع الحصرى : دراسات عن مقدمة ابن خلدون طبعة موسعة مكتبة الخانجى بالقاهرة الطبعة الثالثة ١٩٦٧ ص٣٣٢ ٠

فذلك راجع الى طبيعة البنـاء الاجتماعى فضلا عن ظروف البيئة الطبيعية القاسية التى تحـكم سلوك البـدوى فى معاملاته وعلاقاته مع الاخـرين بدوا كانوا أو غير ذلك ٠

خصائص البداوة العربية ـ واذا كان الباحث قـد تحدث عن سمات البداوة العـامة فانه نظرا لمـا قـد يلتصق بالاذهان من ارتباط البـداوة بالعرب فاننا نجد أن العـلامة العربى ابن خلدون يوضح خصائص هـذه البداوة العربية من تطور قومى(٩) باعتبار ان العرب قوم لهم سمات وقيم خاصة وقد حدد ابن خلدون فى المقـدمة الثانية توزيع العـرب فى الاقاليم وأجزائهـا وبين أنهم يجولون فى الخلاء والقفار وفى الحـديث عن الشام فى الجزء الخامس من الاقليم الثالث قال « وفى الشرق عن بعلبك وحمص بلد تدمر ومجالات البادية الى آخـر الجـزء ٠ وفى الجـزء السادس من أعلاه مجالات الاعراب تحت بلاد نجد واليمامة ما بين جبل العرج والصمان الى البحـرين » ويتضح من ذلك أنه يقصـد بكلمة عرب الاعراب أى البد والرحـــل ٠

وينتقل ابن خلدون من بعـد ذلك الى اصدار أحكام اجتماعية على العرب البدويين وصياغة قوانين عمرانية عن حياتهم وأخلاقهم بناءا على ما استدل عليـه بالخبـرة الشخصية وبمـا أمكن استقراؤه من تاريخهم وأحوالهم فهو يرى أن أهـل البدو أقرب الى الخيـر والشجاعة من أهـل الحضر « وأن الصـريح من النسب انمـا يوجد للمتوحشين فى القفر من العـرب ومن فى معنـاهم » وأن الامم الوحشية أقـدر على التغلب من سواها « وأنه اذا كانت الامة وحشية كان ملكهـا أوسع » « وأن العـرب لا يتغلبون الا على البسائط » « وأن العرب اذا تغلبوا على أوطان أسـرع اليهـا الخراب » « وأن العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من بنوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة » وبين أن العرب أبعـد الأمم

---

(٩) د٠ حسن الساعاتى : علم الاجتماع الخلدونى ٠ دار المعارف الطبعة الثالثة ١٩٧٥ ٠

عن سياسة الملك وذلك لانهم بدو يقتصدون فى معيشتهم على الضرورى من قوت وكن ودفء ٠

وكما انه قال أن « الصنائع بعيدة عن البربر لانهم أعرف فى البدو والصنائع من توابع الحضارة » فقد قرر أيضا « أن العرب أبعد الناس عن الصنائع والسبب فى ذلك أنهم أعرق فى البدو وأبعد عن العمران الحضرى وما يدعو اليه من الصنائع وغيرها » وابن خلدون اذ يطلق هذه الاحكام على العرب ومن يشبهونهم فى حياتهم كالبربر مثلا انما يصوغها قوانين مدعومة بالادلة والحجج والبراهين التى تستند فى جملتها الى العمران البدوى وأحوال الناس وطرائق معيشتهم المبسطة والمتقشفة فيه وعلى رأسهم « الاعراب أهل البادية » وقد ذكر ابن خلدون المهاجرين فى صدر الاسلام كانوا يستعينون بالله من التعرب وهو سكنى البادية » ٠

يمكن القول اذن أن المجتمع البدوى فى اطار هذا البحث هو مجتمع البادية حيث تعتبر حالة البداوة من أبرز مقومات هذا المجتمع ، والبداوة بكل ما تحمله من خصائص انما تعتبر الوجه الحقيقى لسلوك الانسان البدوى وفى اطارها تتشكل علاقاته الاجتماعية ومن خلالها يقوم النظام الاجتماعى فى هذا المجتمع وأقول مجتمع لانه يحدد اطار مكانى هو الصحراء ويقيم فيه سكان لهم طباعهم وعلاقاتهم ونظمهم كاى مجتمع من المجتمعات غير أنه لا يمكن القول من منظور معاصر أن مجتمع البادية يشكل بمفرده مجتمعا قوميا شاملا ذلك لأنه جزء من كل ، أى جزء من المجتمع القومى وأن كانت له سمات وخصائص مميزة ومن هنا كانت خطوة ترك هذا التجمع البدوى بعيدا عن العمران البشرى لانه يشكل قطاعا متخلفا فى المجتمع الشامل ٠

ابعاد ظاهرة التوطين البدوى :

بعد أن تبين لنا سمات وخصائص المجتمع البدوى والحالة التى يحياها الانسان فيه وتوفر كافة عوامل التخلف الثقافى فضلا عن أن هذا المجتمع يلقى بمسئوليات التخلف هذه على عاتق المجتمع القومى لانه

تركه فى حالة من الاهمال بحيث أصبح مصدر عار فى جبين القطاع المتحضر من المجتمع ومن أجل ذلك رأيت الحكومات فى الاونة الاخيرة الى تنفيذ مشروعات خاصة بتوطين البدو للاستفادة من طاقاتهم فى تنمية المجتمع فضلا عن انعاش حياتهم الاجتماعية والاقتصادية وبالتالى لا يشكلون مشكلات سياسية للدولة ٠

لذلك رأى الباحث أن يناقش أبعاد ظاهرة توطين البدو فى هذه الفقرة من البحث نظرا لاهميتها فى مجال تنمية المجتمعات البدوية والمستحدثة ، وسيتناول دراسة هذه الابعاد من حيث المفهوم والمشكلات وعلاقة التوطين بالتحضر ومستلزمات هذا التوطين وعوامل الاستقطاب الحضرى للبدو وعلاقاته فى الحضر والتفرقة بين التوطين التلقائى والتوطين المخطط هذه رؤس موضوعات تشكل فى مجملها أبعاد هذه الظاهرة ٠

مفهوم التوطين ـ هو مجموعة من العمليات التى تتيح للجماعة البدوية الاستقرار والتوطين فى نطاق مكانى معين سواء ضمن مناطقها العادية أو ضمن مناطق أخرى جديدة ملائمة وفى اطار من ظروفها وقيمها ونظمها وأحتياجاتها الاساسية ورغباتها وأنماط سلوكها وفى خلال فترة زمنية محدودة وبغرض أحداث تغيير متصور ومتدرج سواء فى أنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية السائدة أو فى أنماط السلوك والعلاقات البدوية السائدة وعلى ضوء خطة محلية وقومية مدروسة ٠

أما عن مهام التوطين فهو تحقيق تحول الجماعة البدوية عن الترحال بمختلف أشكاله لذلك يعتبر التوطين ضرورة قومية ، ذلك ترحال البدو يعرقل نشاطهم فضلا عن عدم قدرة المجتمع على استيعاب نشاطهم فى تنفيذ خطة شاملة ، فضلا عن أن توطين البدو يغير بالضرورة من سلوك الانسان البدوى ويهذب من طباعه ويحد من شوكة وصرامة العادات القبيلية القاسية ، لان البدوى ينتقل من حالة من الفقر والتخلف الى مرحلة التعمير والبناء واقامة علاقات جديدة تختلف عن قيمة وعاداته

وعلاقاته الاجتماعيـة السابقـة(١٠) ومعنى ذلك أن التوطين يحمـل فى مضـمونه معنى التغيير لانه انتقـال من حالة لاخـرى ويكون التغيير فى هذه الحالة على درجة ما من العمق أو السطحية نتيجة درجة تقبل الحالة الجديدة والاستمرار فيها ٠

ومن ناحيـة أخـرى قـد يفهم من التوطين عمليـة تحضير البـدو واستقرارهم وهى عملية ـ كما سبق القول ـ تقـوم على احداث تغييرات فى الظروف الطبيعية المحيطـة بهم بحيث تنقلهم من حياة التنقل الى حياة الاستقرار فى مكان ثابت يسهل تنميـة الموارد البشرية والاقتصادية ورفع مستوى الحياة الاجتماعية وايجـاد التفاعل المنشود بين البدو وطوائف المجتمع الأخرى ٠

مشكلات التوطين ـ واذا كان التوطين عمليـة ضرورية فانها لا تتم دون مشـكلات تتعلق أساسا بمشكلات البداوة ذلك ان البدو فى مجتمعنا العربى على سبيل المثال قـد ارتبطوا ارتباطا بتاريخ الحضـارة العربية ونظرا لحرمان المجتمع البـدوى من الخـدمات الاساسية فانه يصبح من أكثر قطاعات المجتمع القومى احتياجا للتنمية والبناء حيث ان حياة التنقل التى تتميز بها حياة البـدو وتحـول دون ايصال الخـدمات التى يقدمها المجتمع للبدوى فى المجتمع القومى ومن أجـل هـذا لابد من دمج المجتمع البدوى فى المجتمع القومى ليساهم فى الخدمة العامة ويصبح جزءا فعالا فى الكيان القومى ثروة وبشرا ومن أجـل ذلك كانت مشكلة البـداوة فى المجتمع العربى من المشاكل التى لها أهمية خاصة يستلزم حلها ضمن اطار اجتماعى جديد يتم من خلاله توطين وتنمية المجتمع البدوى(١١) ٠

وتبـدو اذن مشـكلات التوطين من واقع المجتمع البدوى نفسه ذلك لانه أكثـر المجتمعات حاجة الى التنمية والبنـاء وهذا يحتاج بالضرورة الى جهود مكثفة وتبعات ضخمة لانه بعد التوطين نكون قد بدأنا فى علاج مشـكلة البـدواة فى حد ذاتهـا وفى مظاهرها ، تلك المشكلة التى تعوق

---

(١٠) صلاح الفوال : مرجع سابق ص ١٠٣ ٠
(١١) د٠ صلاح العبد : مرجع سابق ص ٨٦ ٠

حركة التخطيط والتنمية للموارد طبيعية كانت أم بشرية ويرتبط بعلاج هذه المشكلة علاج لمشكلات أخرى تابعة بها مشكلة التواكلية والاستسلام لاوامر الطبيعة وأحكامها دون ما تصرف أو جهد فضلا عن علاج لمشكلة الشعور بالنقص والعجز أمام جبروت الطبيعة وطغيانها فضلا عن صرامة السنن الاجتماعية التى تدعو الى احتقار العمل البدوى والاكتناز بعيدا بعيدا عن الاوعية الادخارية المألوفة واحتقار المرأة وهى كيان له وضعه فى مجال التنمية فضلا عن انتشار الامية والروح القبلية وتخلف الاوضاع الادارية(١٢) ٠

اذن فعملية التوطين ليست بالعملية السهلة وانما هى تحتاج الى جهد مزدوج تحتاج الى جهد اقناعى للسكان البدو أنفسهم فى ضرورة تقبل أوضاع جديدة تحمل لها انعاشا اجتماعيا واقتصاديا وتوفر لهم الامن والامان على أوضاعهم فى اطار المجتمع القومى الشامل ثم جهد الاعداد لعملية التوطين نفسها بما تتطلب من امكانيات مادية وبشرية ومعنوية حتى تكتمل العملية فى نجاح ٠

التوطين التلقائى والتوطين المخطط ـ ويقصد بالتخطيط تلك العمليات التى تشترك فيها الاطراف المعينة من الحكومة ومن المستوطنين فى تنظيم العمليات المختلفة التى تستهدف تكوين مجتمعات وظيفية جديدة فى مناطق جديدة تقوم بموجب معايير وقوانين ، ويأخذ التوطين التلقائى شكله هذا بطريقة تمليها الاحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى تدفع الافراد والجماعات خارج مساكنهم أو تجذبهم داخل مساكن جديدة وفى هذا الفرع من التوطين فان عملية الجذب والدفع هى محصلات قوى تعمل مستقلة عن بعضها والامثلة كثيرة على هذا النوع منهم اللاجئون الذين يطردون من ديارهم نتيجة الحروب ـ مثل أفراد العينة التى تقوم بدراستها ـ والكوارث أو الذين يتخلفون كرواسب من التغيرات السياسية والعامل المشترك بين كل هذا هو أن عملية الانتقال الى المجتمع المستحدث

---

(١٢) د٠ على فؤاد أحمد : مشكلات المجتمع الريفى فى العالم العربى ٠ معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨ ص ٣٨ ٠

والحصيلة النهائية لم تنفذ فى اطار خطة متكاملة · وبالنسبة للتوطين المخطط أو الموجه فهو الذى يحدث نتيجة لخطة مدروسة ويتم بموجب أهداف محددة مثل استصلاح الاراضى ، واستثمار طاقات البدو الرحل وشبه الرحل كطاقة انتاجية كل ذلك يدعو الى ادخال عنصر الادارة أو الاشراف الادارى ، وأخذ هذا النمط فى المجتمعات المستحدثة ينتشر فى البلاد العربية ففى العراق هناك مشروعات السيب ، وجيلة ، جويجا ، شهر روز ، اللطيفة ، الشيمة وفى السعودية هناك مشروعا الحرض وفيصل ، وفى الاردن هناك مشروع الجفر وفى سوريا مشروعا الفرات والغاب وفى ليبيا مشروع الجبل الاخضر ·

وتختلف صور التوطين باختلاف المجتمع المطلوب توطين الجماعات فيه فقد يتم نقل التخطيط الى جماعة من الناس فى نفس بيئتهم واعادة تشكيل اقامتهم ونشاطهم ، وقد يتخذ التخطيط صورة أخرى وذلك بتوطين جماعات من الناس لم تكن موجودة أصلا فى هذه المنطقة ويتم توطينهم فيها بعد أن يتم استكمال كافة المرافق المطلوبة لاقامتهم ومعيشتهم وأمثلة لذلك اعادة توطين النوبيين ممن غمرت مياه بحيرة ناصر قراهم ومزارعهم فى خشم القربة بالسودان وكوم امبو فى اسوان(١٣) ووفقا لشكلى التوطين : التلقائى والمخطط يمكن القول بأن بدو منشية السادات وهم موضوع الدراسة ينطبق عليهم الشكل الاول التلقائى حيث أنهم الذين تداولوا فى التوطن فى المنطقة دون تدخل رسمى أو شبه رسمى فاقاموا المساكن خصوصا فى المنطقة القريبة من الحقول ولكن بعد أن اتسع نطاق هذه المنطقة السكنية أصبحت فى حاجة الى تدخل التخطيط والتنمية لانه ظهرت مشكلات عديدة سواء كانت مادية تتعلق بادخال مجارى الى المنطقة وانشاء جمعية تعاونية استهلاكية ومخبز آلى ومكتب بريد ··· الخ على نحو ما سنفصل فيه القول فيما بعد أو مشكلات معنوية تتعلق بطبيعة

---

(١٣) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : حلقة النهوض بعلم الاجتماع فى الوطن العربى الجزائر ١٩ ـ ٢٦ مارس ١٩٧٣ بحث بعنوان : المجتمعات المستحدثة واثرها فى التطوير الاجتماعى فى الوطن العربى ص ٥٠ ·

العلاقات الاجتماعية بين البدو أساس انشاء المنطقة والمصريين الوافدين اليهم للبناء والسكنى ٠

مستلزمات التوطين ـ وان التفكير فى التوطين التلقائى أو المتخطط يوجب على الافراد أو الدولة ان تعى مستلزمات هذا التوطين حتى يتم بالصورة المستهدفة واذا ما عرفنا مثلا أن البدو يمثلون قطاعا لا يمكن تجاهله من قطاعات السكان فى المجتمع ، ولذلك أصبح واجبا على الدولة ان تسعى لانتشالهم مما هم فيه من موضع اقتصادى واجتماعى هابط ، هذا العمل يتطلب برامج معنية يتم بها التغيير الاجتماعى والاقتصادى بخطوات تدريجية حتى يمكن تحقيق عمليات الاستقرار والتوطين دون حدوث مشكلات تؤدى الى فشل المشروع ٠

والتوطين اذن هو الخطوة الأولى للتحضير ، ويتجه التوطين الى قبائل الرحالة أما التحضر فانه يتجه الى العشائر المستقرة وشبه المستقرة ، ان توطين القبيلة البدوية يعنى الصاقها بالارض وهذا العمل يؤدى الى تغيير طراز حياتها المادى وتغيير لطبيعة الحياة المحيطة بها لان الاستقرار يجعلها أقرب الى موارد الحياة وتساعدها على اتخاذ اساليبه الجديدة فى كسب العمل والعيش التى تغاير ما اعتادت عليه فى حياة الترحال ٠

ان تغيير البيئة الطبيعية أو المحيط الذى تعيش فيه جماعة من الجماعات حتما الى تغيير جذرى فى حياتها الاقتصادية والاجتماعية من عادات وتقاليد ، أعراف وان تحولهم الى مهنة زراعية يؤدى الى تغيير عقليتهم أيضا لان حياة الاستقرار معناه خلق عاطفة الالتصاق بالارض وهذا لا يستشعره الا الفلاح ويتولد عن ذلك الولاء للاقليم أو « الوطنية » ومن نتائجها ربط البدوى بأرض تكون رزقه وعندما تدور الايام تصبح هذه الارض حديث ذكريات الاباء والاجداد ٠

ولتنفيذ مشروع التوطين وأخراجه الى حيز الوجود وجب معالجة اساسيين : الاول ينبع من طبيعة العشائر وقوام حياتها ٠ والثانى يتعلق بالدولة وهو تقديم الوسائل التى تساعدهم على التوطين ٠

ومهما تكن الطريقة التى تتبع فى توطين البدو فلابد من سياسة واضحة المعالم تسير عليها عملية الاستقرار وبالتالى مساهمتهم فى التنمية الشاملة التى ينعكس أثرها فى التقدم العمرانى وزيادة الانتاج وبذلك تتوفر لهم المناسبة لحياة أفضل ولتحقيق هذه السياسة وجب أن تكون خطوطها العريضة : تمليك الارض وتوفر الموارد المائية ، ونشر الخدمات الاجتماعية والمواصلات(١٤) ٠

وطبيعة الحال اذا تم التوطين التلقائى من جانب افراد فان مستلزمات هذا التوطين لا يتم بالصورة الفعالة ذات الكفاءة والفاعلية كما هو الحال فى التوطين المخطط ذلك أن هذا التوطين التلقائى يحتاج الى عنصر الخبرة والدراية والامكانيات اللازمة ويفتقد الى عنصر الجماعية فى التفكير والمبادأة فى تنفيذ مشروعات ذات نفع عام مثلما هو الحال عند « بدو المنشية » ذلك ان مستلزمات التوطين لم تكلفهم سوى بناء مساكن لهم فى منطقة السكنى دون أن يفكروا فى مشروعات مياه نقية أو تخطيط عمرانى أو مشروعات صرف أو نظافة ٠٠٠ الخ ولكن بدأت هذه المستلزمات تلح فى التنفيذ بعد أن اتسع نطاق السكن فى هذه المنطقة حتى أن الرغبة فى تخطيط المنطقة جاءت من جانب المصريين المجاورين لبدو المنشية الى حد كبير ٠

علاقة التوطين بالتحضر ـ سبق أن قلنا أن التوطين خطوة أولى لتحضر منطقة ما بدليل أنه بعد أن توطن « بدو المنشية » ظهرت درجة من التحضر فى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية بسبب الاستقرار ٠ ويرجع التحضر بصفة عامة الى القرار السياسى المصنوع بفعل رهاصات ودوافع مجتمعية معينة فضلا عن استجابة الافراد لقرارات التحضر بمعاونة التغيرات الاجتماعية وغيرها التى تساعد على هذه الحركة مثل انتشار الصناعة وظهور العلاقات المعقدة وانتشار أساليب التجارة الحديثة وانتقال المجتمع الى حياة قومية شاملة بدلا من انتشار العلاقات القرابية هذا مع زيادة فى عدد السكان واتجاه الهجرة من الريف الى الحضر

---

(١٤) د٠ فوزى خليل : مرجع سابق ص ١٣٧ ٠

ونحو المدن من الداخل فضلا عن ذلك وقد تدخل الموارد الطبيعية عنصرا من عناصر تحضر المجتمعة وخروج المرأة الى مجالات العمل مع ظهور ايديولوجية مستحدثة وقرارات سياسية تدعو الى زيادة التحضر(١٥) ٠

التوطن اذن خطوة أولى لكافة هذه الخطوات ، وتجدر الاشارة انه مع ظهور مراكز حضرية معينة فان السكان من مناطق أخرى ريفية كانت أو بدوية تستقطبها عوامل التحضر كما حدث عند « بدو المنشية » بفعل عوامل عديدة أذكر منها :

ـ عوامل تتعلق بالموقع الفيزيقى والميزة التوطنية للمكان وتأثير حجم سوق المنطقة وموقعه وسهولة طرق النقل والمواصلات ٠

٢ ـ عوامل ترتبط بالأنشطة المادية مثل وجود قاعدة صناعية مع توافر أنشطة صناعية رئيسية تصديرية وزيادة درجة الانشطة القائمة مع تمتع المنطقة بوفرة فى الخدمات والهياكل الاساسية للمشروعات ٠

٣ ـ عوامل تتعلق بالعنصر البشرى ومنها هجرة السكان الى مركز الاستقطاب وتركز السكان داخل مركز الاستقطاب مع ظهور العمالة كمتغير تابع للهجرة ٠

٤ ـ عوامل خاصة بالهيكل الثقافى والبناء الاجتماعى الحضرى ومنها أن درجة التجانس الثقافى فى المجتمع فى شكل قنوات للاتصال دورا هاما فى البناء الاجتماعى الحضرى ، وتؤثر هذه الدرجة على نسق التدرج الاجتماعى الشامل للمجتمع الحضرى ويأتى ذلك نتيجة وجود ثقافات فرعية تتبع أو لا تتبع الثقافة الكلية للمجتمع(١٦) ٠

الا ان الباحث يرى عند تطبيق عوامل الاستقطاب الحضرى هذه على ظروف توطن العينة من بدو المنشية أن العوامل المادية كانت أشد استقضابا

---

(١٥) Williom J. Goode : Principles of sociology, McGraw Hillbook comp U.S.A. 1977 P. 509.

(١٦) د٠ محمود الكردى : النمو الحضرى : دار المعارف ١٩٧٧ ص٧٣ ٠

لهؤلاء البدو من العوامل الثقافية والقيمية بدليل ان هـذه العوامل مازالت الى حـد ما مسيطرة على سلوكهم وان تأثروا بمظاهر التغيير المادى فى بنـاء مساكن واستخدام الراديو على نحـو ما ستفصل فيـه القول فيما بعد ٠

ومن هذا المنطلق يمكن الاتفاق مع أرنولد روز Rose فى أن التحضر طريقة حياة وقد أكد العـلامة ويرث Wirth هـذه الحقيقة منذ سنوات مضت وأوضح أن أشـكال التحضـر ترتبط بعوامل وأنمـاط الاستقرار للمهاجرين من الريف صاحب الكثافة السكانية العالية ٠ ويشير بارك Park الى أنه نتيجة لزيادة التحضر فان الامر يكاد على وجه الخصوص يحبذون شيوع الأسرة النـووية من أجل تخفيف الكثافة السـكانية ، وفضـلا عن ذلك فان كافة أشـكال مشـروعات الاسكان الحـكومى سوف تجعـل من الاستيطان مسألة حيـوية هامة ومرغوبة خاصة فى الأماكن الحضرية مع زيادة هجرة العمال الوافدين اليه تزداد بالتالى حركة ونشاط هؤلاء الجدد الأمر الذى يحتم على السلطات أن تعمل جـاهدة على التدخـل فى مسألة توطينهم ومن ثم يحـدث تغيرات فى سلوكهم وأنماط عاداتهم وثقـافاتهم ونسق تعليمهم وبالتـالى فان وفود هؤلاء السـكان بمحض ارادتهم سوف يجعل حركة التغيير الاجتماعى فى منطقة سكناهم أمر طوعى غير مفروض، ومن هـذا المنطلق فان اعادة تخطيط المدينة الحديثة وهى مركز حضرى يعد مسألة ذات أهمية قصوى نظرا لظهور علاقات داخلية جديدة(١٧) ٠ واذا كان الامر يتعلق بتوطين سكان المناطق القريبة من المركز الحضرى ، فان نفس ظروف التوطين هـذه سوف تترك بصماتها على توطين البدو مع استحداث الفارق الثقافى بين هؤلاء البدو الذين لهم نظمهم الاجتماعية الخاصـة بهـم والـذين هم فى حاجـة ماسـة الى التكيف مع الظروف المستحدثة ٠

---

(١٧) Amold Rose : Humman Behavior and social processs, Routledge, Kegan Paul, London 1972 P. 644.

التنمية البدوية :

وتخلص مما تقدم أن توطين السكان أيا كانوا ريفيين أو بدوا يرتبط بتنمية منطقة سكناهم الجديدة ، ولكن التنمية البدوية لها طابع خاص وذلك اذا ما تمت هذه التنمية فى اطار المجتمع البدوى ذاته لانه من الملاحظ أن الحكومات قد اهتمت فى الماضى بتنمية المدينة والقرية وأهملت الصحراء ولذلك فان هذا المجتمع المستحدث فى أشد الحاجة الى مزيد من التنمية شأنها شأن المدينة والقرية أن لم يكن أشد نظرا لانعدام ظروف الحياة الصحية السوية العادية ،وتختلف ظروف التنمية البدوية مع البدو الذين استوطنوا منطقة حضرية ولو كانت هامشية كالحال فى ظروف عينة بحثنا ذلك لان التنمية هنا سوف فى اطار حضرى والمهم أن تتعرف على انطباع المشروعات التنموية لهؤلاء السكان البدو على سلوكهم وهل هم الذين طالبوا بهذه المشروعات أم أنها مفروضة عليهم وهل غيرت هذه المشروعات من نظامهم الاجتماعى أم لا ، وهذا ما سيتضح فيما بعد ٠

وتجدر الاشارة الى أن تنمية المجتمع البدوى ان هى الا مجموعة الجهود الحكومية والشعبية المبذولة عن قصد ويفرض احداث نوع من التغير فى حياة الجماعات والتجمعات البدوية وبما تشمله هذه الحياة من جوانب متفرعة ومتعددة وفى اطار السياسة العامة للدولة أى أن التنمية البدوية هى عمليات تغير اجتماعى مقصود(١٨) ٠

ويرى الباحث أن خطة تنمية المجتمع البدوى تعتمد على استراتيجية معينة من أبرز مقوماتها(١٩) .

أولا : النظر الى الصحراء باعتبارها منطقة أو مكان يعيش فيه انسان وتحمل باطنها المواد الخام ٠

---

(١٨) صلاح القوال : مرجع سابق ص ٩٩ ٠

(١٩) د٠ اسماعيل عبد البارى : دراسات اجتماعية ١٩٧٩ ص ٣٥ ٠

ثانيا : درجة التكيف المطلوب بين سكان المجتمع البدوى وما يفد اليهم من سكان الوادى بعد عملية غزوهم فى عقر دارهم ٠

ثالثا : التكامل بين الجهد الاهلى والرسمى فى مجال التنمية ٠

رابعا : مراعاة الظروف والامكانات النفسية والاجتماعية للانسان المستهدف من حركة التنمية ٠

خامسا : ان تنمية المجتمع البدوى لها خصائص تختلف عن تنمية الريف أو الحضر فهى تحتاج الى تكتل الجهود والطاقات ٠

سادسا : لا أفصل فصلا تعسفيا بين تنمية ريفية وحضرية وبدوية بل أن التلازم ينبغى أن يكون هو محور السياسة التنموية لهذه المجتمعات ٠

سابعا : مراعاة عامل الزمن وحركة التغير الاجتماعى السريع الذى يشهده المجتمع لان الانسان سرعان ما يفقد حماسة اذا طالت مشروعات التنمية عن انجاز فوائد محققة ٠

ثامنا : انشاء هيئة عامة تضم الخبرة الفنية والانسانية من أجل التنمية البدوية ٠

تاسعا : أن تسبق التنمية البدوية مرحلة استطلاع لمقومات هذه الحركة ٠

عاشرا : ضرورة العمل بروح الفريق والابتعاد عن التسلطية والمظهرية ٠

الحادى عشر : أهمية المتابعة المستمرة أثناء التنفيذ لكافة الجهود المبذولة ٠

ويجدر القول أن المجتمع البدوى بعد حركة التنمية يعتبر مجتمعا مستحدثا وتنطبق عليه سمات هذه المجتمعات المستحدثة منها : التخطيط والتوجيه ، كما أن تكون هذه المجتمعات ريفية أو حضرية فيمكن أن تكون مجتمعا بدويا ويلعب التركيب السكانى دورا هاما فى التنظيم الداخلى فضلا عن ارتباط هذه المجتمعات المستحدثة بفلسفة المجتمع القومى وعلى

هذا الاساس فان المجتمعات المستحدثة تنشئها الدولة بمفردها أو بالتعاون مع السكان بقصد توطين أو استيطان مجموعة من الناس تربطهم مصالح وسمات اجتماعية وحضارية مشتركة مستخدمين فى ذلك كافة الوسائل الممكنة سواء داخل البيئة أو خارجها بهدف رفع مستواهم وتنمية المجتمع الذى يعيشون فيه(٢٠) ويمكن اذن اعتبار منطقة منشية السادات التى يقيم فيها البدو موضوع دراستنا مجتمعا مستحدثا فالتركيب السكانى يشتمل على عنصرين : البدو والمصريون ، وان كان الاهالى أنفسهم والبدو على وجه الخصوص هم الذين قاموا بانشاء هذه المنطقة وبقى دور الحكم المحلى فى تخطيط هذه المنطقة بتنميتها لانها فى حاجة ماسة الى مزيد من الخدمات الاساسية خاصة وأن سكان المنطقة رغم اختلاف طباعهم مشتركون فى الافادة من هذه الخدمات لانها سوف ترفع من مستوى حياتهم ٠

وأود الاشارة فى هذا المقام الى بعض الدراسات التنموية التى تناولت هذا الموضوع استكمالا للفائدة فى مجال التطبيق ٠

بحث جامعة اللينوى ـ أجرى هذا البحث الثقافى عام ١٩٥٨ تحت اشراف مركز الدراسات الثقافية ، وقد افترض البحث قيام مساهمة أو مشاركة من جانب السكان نحو دراسة مشكلاتهم ، وقد قام بتنفيذ البحث دارسون فى أقسام الاجتماع والاثرديولوجيا بنفس الجامعة وقامت الدراسة الردوجرافية على عدة أقطار فى غرب أفريقيا وشرقها وشمال آسيا واليابان والمكسيك وبيرو وأشرف على البحث أساتذة متخصصون منهم Murphy ٠

وقد تم انجاز مشروع البحث على ثلاثة مراحل :

فى المرحلة الاولى كانت الدراسة والتخطيط ومناقشة أبعاد المشروع وقد استغرقت هذه المرحلة عام ونصف ٠

---

(٢٠) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : مرجع سابق ص ٣٧ ٠

فى المرحلة الثانية وقد استغرقت عام ونصف وهى الدراسة الميدانية لمجتمع البحث ٠

فى المرحلة الثالثة والاخيرة تمت مناقشة النتائج واعداد تقرير البحث ٠ وفى هذه المرحلة عقدت مؤتمرات لمناقشة النتائج ومراجعتها واشارت بعض النتائج الى حدوث تغير فى مجتمعات البحث فى السنوات الخمس الاخيرة ، فقد حدث تغير سياسى فى المجتمعات المحلية كما حصلت كينيا وتانزانيا على استقلالهما بعد أن خلف الاستعمار مشكلات سياسية وقومية واستثمارية ، كما تبين وجود صراع بين القبائل البدوية حول طبيعة التغيرات التى يمكن حدوثها ومدى قبولها أو رفضها ، كما أن ادخال التكنولوجيا أدى الى تغيير بناء المجتمع فضلا عن ظهور تغير ملموس فى اليابان من خلال المزارع الحديثة كما سمحت التنمية الحضرية بهجرة العديد من سكان الريف اليابانى الى المدن ، وحدث التغير فى المكسيك فى أساليب الرى ، كما زادت حركة الصناعة فى بيرو ، ومع ذلك فان هذه التغيرات تصل الى تحقيق أهدافها حتى نهاية البحث ، لكن الشىء الملاحظ هواندثار مظاهر التقليدية مع ظهور عوامل التحديث والتغير الاجتماعى والثقافى كما تغير مركز المرأة وأصبحت أكثر مشاركة فى الانشطة كما كان للدين الاسلامى نفوذ فى تقوية السلطة الابوية وحصول المرأة على حق الملكية(٢١)٠

وأن كل ما يمكن الاستفادة منه من هذا البحث هو أنه يعطى بعض المعطيات التى أصبحت كحقيقة مؤكدة وهى أنه مع توفر الرغبة فى التحديث من جانب الانسان ومع تنفيذ هذه الرغبة يمكن أن يصاحبها تغير ملموس وهذا ما يؤكد وجود بعض التغيرات المصاحبة لحركة التوطين عند البدو وهذا ما لاحظه الباحث من دراساته الميدانية ٠

الاستيطان الريفى فى الاراضى المستصلحة فى مصر ـ فى دراسة

---

(٢١) Edward H. winter & other : Contemporary change in traditional societies VI of Illnois Press U.S.A. 1967 P. 495.

لمركز البحوث بالجامعة الامريكية بالقاهرة عن الاستيطان الريفى فى الاراضى المستصلحة فى مصر نفذت دراسة تقييمية لبعض نماذج الاستيطان فى قطاع شمال غرب الدلتا بالتعاون مع المؤسسة المصرية العامة ٠

الاستصلاح وتنمية الاراضى المستصلحة التابعة لوزارة استصلاح الاراضى والمركز الدولى للتوطين والتنمية بالاراضى المستصلحة ، بدأت الدراسة من يونيو ١٩٧١ واستمرت حتى ديسمبر ١٩٧٥ مرتكزة الى أن التخطيط للمجتمعات المستحدثة من التجارب حديثة العهد التى تمر بها الدولة لذلك ينبغى أن تقوم مشروعات الاستيطان على التخطيط السليم المبنى على الدراسة العلمية لكافة المصارد الطبيعية والبشرية والذى يأخذ فى الاعتبار النواحى الاجتماعية والقيم الانسانية ٠

ومن الملاحظات العلمية على هذه المجتمعات المستصلحة أختيار القادة فيها خلال السنوات الخمس الاولى من التوطين بناء على المستوى التعليمى والمشاركة فى الانظمة المحلية فضلا عن تأثير عامل السن ٠ ويتم اكتشاف هؤلاء القادة من خلال قيامهم بدور بارز فى عملية توجية المستوطنين وعلاج كثير من المشكلات التى تظهر خلال ذلك ٠

أما من حيث مساهمة السكان فى الانشطة المحلية فان الفلاح المصرى يفتقد منذ زمن بعيد فى قدرة الحكومة على عمل كل شىء الا أنه مع بداية مراحل الاستيطان لوحظ أن الفلاحين يشاركون فى المشروعات المختلفة خاصة تلك التى يشعرون بفائدتها لهم مثل بناء المدارس والكبارى والمشروعات التقليدية ٠ كما تبين أن نسبة ٦ر٢٧٪ من أصحاب الاراضى يميلون الى تشجيع تعليم الابناء(٢٢) ٠

هذه الدراسة لمشروع استيطان ريفى ، لكن يهمنا فى المقام الاول الاسس العامة التى يمكن الاستفادة بها حين تقوم الحكومة أو الافراد

---

(٢٢) Helmi R. Tadros : Rural Resettlement in Egypt VI monograph 4 Harch 1978 american Univ. in Cairo P. 52.

بعملية توطين للبدو أنفسهم سـواء داخل مجتمعهم البـدوى أو خارجه ، ومن أهم الدروس المستفادة من هـذه الدراسة مثلا أهمية انتقاء مجموعة من قادة البدو ومشايخهم ليكونوا همزة الوصل بين القائم بالمشروع وباقى أفراد القبيلة وأنه بدون الاستناد الى قيـادة محلية رشيدة ، لن يستطيع المخطط أن ينفذ الى أعمـاق هؤلاء الناس مثلما فعـل الباحث وهو يقـوم بدراسة عند البـدو بمنشية السادات فقد كانت النظرة اليه تشوبها مظاهر الشك لكنه حين تعرف على أحد أقطاب البدو كان سنده فى الدخول اليهم بثقة واقتـدار ، كذلك يستفيد من هـذه الدراسة أيضا مدى قدرة الانسان البدوى على المشاركة بفاعليـة فى مشروع التوطين هل يعتبر ذلك عملا مفروضا عليه من قبـل السلطـة لم أنه يشـارك عن اقتناع وحرصا على تحسين مستوى حياته المـادية والمعنوية ٠

المجتمعات المستحدثة وموضوع الاستيطان ـ يشير الاستاذ الدكتور أحمـد أبو زيد الى أن المجتمعات المستحدثة هى جـزء من موضوع أوسع وأعم وأشمل وهـو الاستيطان وعمليـة الاستيطان عمليـة قديمـة قـدم الانسانية ، ويتم معظم الاستيطان عن طريق تهيئـة واستصلاح الاراضى غير المزروعة سـواء كانت قاحلة كما هو الحـال فى المناطق الصحراوية أو اراضى ملحة أو أراضى تغطيهـا المستنقعات ، والمسألة ليست سكنى أو استصلاح للاراضى وزراعتها بقدر ما هى اقامة وانشاء مجتمع متكامل تتوفر فيـه الفرص لتطوير أنمـاط جديدة من العمل والانتاج وبخاصة فى المجال الزراعى مع ما يرتبط بهذا كله من ظهور علاقات اجتماعية جديدة وقيام بناء اجتماعى جـديد بحيث يتم ذلك كله بطريقة تتفق مع الامكانيات المتوفرة فى المنطقة وحاجات السكان الذين سوف يعيشون فى ذلك المجتمع المستحـدث مع الاخذ فى الاعتبـار حاجات المجتمع القـومى الكبير ومن هنا فان فـكرة المجتمع المستحدث تختلف بالضرورة اختـلافا جوهريا عما يعرف بالاستيطان التلقائى الذى يتوقف الى حد كبير على المبادرة الفردية وينشأ دون أن يأخذ فى الاعتبـار الاطار القومى العام أو حاجات المجتمع القـومى ٠ فاقامة المجتمعات المستحدثة ترتبط اذن بالتخطيط وتتم حسب خطة دقيقة مرسومة واضحة وهادفة تأخـذ فى اعتبارها ليس فقط مسألة

اعداد الارض للزراعة بل وأيضا تهيئة أفراد المجتمع الجديد أنفسهم واعداد للحياة الجديدة القومية العامة للتنمية بل وكثيرا ما تولى الاشراف على شئونها بعد اقلتها وأتمام عملية الاستيطان ٠

ولقد انشئت فى مصر عدة مشروعات للتنمية تعتمد فى المحل على انشاء المجتمعات المستحدثة ، وقد لقيت هذه المشروعات عناية كثير من الباحثين ٠

وهناك على أقل تقدير ثلاثة نماذج من تلك المجتمعات المستحدثة هى مشروع النوبة الجديدة مشروع توطين البدو فى منطقة الساحل الشمالى الغربى فى مصر ٠

وليس من شك فى أن مشروعات توطين البدو الرحل تغير من المشروعات الهامة التى ترتبط بالخطة القومية العامة للتنمية للاسباب التالية :

١ ــ أن حياة البداوة لها تأثير عكسى على التنمية واستثمار الاراضى بالذات ٠

٢ ــ أن البدو يعانون فى العادة فى حياتهم اليومية من كثير من المتاعب الناجمة عن سوء الاوضاع البيئية العامة ويتعرضون بالذات للقحط والمجاعات نتيجة عدم الاستقرار فى الاحوال المناخية مما يضطر السلطات المسئولة الى ارسال المعونات الغذائية ٠

٣ ــ أن تحركات البدو وراء المراعى تجعل من الصعب على الحكومة والسلطات المسئولة متابعتهم واخضاعهم لسلطتها فضلا عن صعوبة تقديم الخدمات التعليمية والاجتماعية والصحية المختلفة لهم وبذلك فان قطاعا لا بأس به من قطاعات المجتمع المصرى يحرم من هذه الخدمات ٠

٤ ــ من الناحية الادارية البحتة فان توطين البدو الرحل سوف

يساعد مساعدة كبيرة على القضاء على المتاعب التى تعانى منها الدولة فى الصحراء مثل التهريب من الخدمة العسكرية(٢٢) ٠

وليس من شك فى أن الدراسة تتفق مع الدراسات السابقة فى أن حدوث عملية التوطين مرتبط تماما بحدوث تغيرات اجتماعية شاملة لان كافة الاجراءات التى تنفذ من أجل انجاز هذه العملية سوف تخلق مجتمعا جديدا ليس فقط فى موارده البشرية والمادية بل أيضا فى بنائه الاجتماعى ونظمه ٠ ومن ناحية أخرى يتفق الباحث مع فكرة أن قيام مجتمع مستحدث قائم على التخطيط العلمى المدروس والذى توفر له الدولة كافة مقومات المجتمع هذا المجتمع المستحدث هو من صنع الدولة لانه يحتاج الى امكانات ضخمة ولا يخفى أيضا الاسهام الفردى والجماعى فى قبول الاستيطان بهذا المجتمع وبناء على ذلك نقول ان توطين بدو المنشية جاء بطريقة تلقائية من جانب البدو أنفسهم ودون تدخل من جانب السلطات كان ذلك فى بداية مرحلة هذا الاستيطان التلقائى لكن مع اتساع حجم الاستيطان وتباين التركيب السكانى فيها من بدو ومصريين مع تنوع مظاهر الحاجات الفردية والجماعية وحاجة هؤلاء السكان الى كثير من الخدمات فضلا عن نزوح كثير من سكان مدينة الزقازيق الى هذه المنطقة اما بفرض البناء أو بفرض استئجار الشقق الى غير ذلك كل هذه الظروف حتمت تدخل السلطات من أجل وضع خطة لتنمية هذه المنطقة بعد أن توفر لها كافة مقومات المجتمع المحلى ٠ ومع اهتمام الحكومة بمشكلات المنشية والتخطيط لعلاج مشكلاتها أمكن اعتبارها مجتمعا مستحدثا ظهر فى أطراف المدينة الام بدأ تلقائيا ثم فرض وجوده على المسئولين للاهتمام به وتنميته ٠

التنمية الاجتماعية فى الصحراء الغربية ـ وفى تقرير لوزارة الشئون الاجتماعية فى الصحراء الغربية يشير الى أن هذه الصحراء تتنوع مواردها المتوقعة وان كان أغلبها غير ميسر حتى الآن ٠

---

(٢٣) د٠ أحمد أبو زيد : التنمية عن طريق المجتمعات المستحدثة ٠ بحث مقدم الى مؤتمر علم الاجتماع والتنمية فى مصر ٥ ـ ٨ مايو ١٩٧٣ المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ص ١٢ ٠

وتشمل الموارد المادية الحالية موارد زراعية وسمكية وصناعية وسياحية وان كانت أغلبها غير مستثمرة استثمارا امثلا ، كما تتوفر وسائل انتقال واتصال محدودة وتحتاج الى تطوير حتى تتحمل خطط التنمية هذا الى جانب ظروف معيشية لا تساعد على جذب السكان رغم توافر المناخ الجيد ٠

وتشمل الموارد البشرية : البدو وسكان الوادى الذين اتجهوا الى الصحراء علما بأن نسبة ٨٧٪ من سكان الساحل الشمالى الغربى من البدو عاشوا فى المنطقة منذ أجيال عديدة تأصلت فيها لديهم قيم وانساق اجتماعية خاصة بعالمهم البدوى التقليدى الذى يعتمد فيه على تربية الاغنام والزراعة والتجارة بما يوفر لهم المعيشة على حد الكفاف وفى ظروف طبيعية قاسية وقليل منهم يعملون فى بعض الوظائف الحكومية كمدرسين أو سائقين أو عمال ، أما المرأة البدوية فتعمل بالمنزل حيث أن قيم القبيلة تمنع عمل المرأة خارج المسكن ٠

ونتيجة لتقدم الرعاية الطبية وتوفر الغذاء والمياه تزايد عدد البدو نسبيا ويفضل البدو مشروعات استصلاح المناطق التى يعيشون فيها بمياه النيل كخطوة أولى لتحديث اقتصادهم حيث ستزيد مياه النيل من قيمة الارض التى يعتبرها البدو ملكا لهم وان اهتمام البدو عن طريق مشاركتهم فى زيادة الموارد الاقتصادية الرئيسية فى مصر ٠

وهناك لدى البدو وبعض المخاوف المرتبطة بتهجير القادمين من الوادى حيث أن البدوى يتوقعون استيلاء الحكومة على الارض التى يمتلوكنها طبقا لتقاليد وعرف البدو بعد استصلاحها كما يعملون أيضا أنهم الجانب الاضعف بالنسبة للمهاجرين فى مجال المناقشة على فرص العمالة الجديدة ٠

ان نسبة ٢٠٪ من البدو مازالوا يعيشون فى خيام ويتزايد أقبالهم على الاستفادة من الخدمات العامة ولكن من ناحية أخرى فهم مازالوا مرتبطين بالارض والابار المنتشرة فى المنطقة وسيتم توفير المرافق العامة

فى الراكز المنتشرة على الساحل تدريجيا ومن المتوقع للتعاونيات الزراعية أن تصبح عصبا رئيسيا لمساعدة البدو على مساعدة أنفسهم ٠

أما الوافدين من الوادى يمثلون نسبة ١٢٪ وهم مركزون فى المدن ويعملون فى الاعمال الحكومية والبناء والصناعات ، وغالبية القادمين من الوادى قدموا بدون أسرهم أو هم من الغرزاب وسيكون من العسير اجتذابهم للهجرة الى الصحراء الغربية اذا لم تتحسن ظروف المعيشة فيها بطريقة جذرية ووجدت الحوافز التى تعوضهم عن افتقاد حياة الاسرة الممتدة فى الوادى ٠

وتلقى تنمية وتعمير الصحراء الغربية عدة معوقات منها :

١ ـ معوقات طبيعية مثل العوامل الجغرافية والطبيعية ٠

٢ ـ معوقات ثقافية تتصل بالقيم الثقافية للمجتمع البدوى واللغة ووسائل الاتصال ومعوقات تتصل بالتعارض بين القديم وتطلبات التغيير مثل ضعف المشاركة الجماهرية واحتقار العمل اليدوى وانعدام الثقة فى العاملين فى الحكومة وانتشار الامية والانتقام والتأثر والمبالغة فى تقديد الذات ٠

٣ ـ معوقات تتصل بالموارد البشرية مثل نقص عدد السكان مع تخلف فى الاعداد والتدريب ونقص عدد العاملين الفنيين ٠

٤ ـ معوقات مادية مثل ندوى رأس المال والافتقار الى نظام جيد للمرافق العامة للمواصلات فى المستوى التكنولوجى المنخفض وغياب الحوافز المادية والمعنوية ومرافق المعيشة والافتقار الى وسائل جيدة للترفية(٢٤) ٠

---

(٢٤) اكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا : صور للتنمية الاجتماعية فى الصحراء الغربية ـ تقرير وزارة الشئون الاجتماعية مقدم الى مؤتمر « دور البحث العلمى والتكنولوجيا فى تنمية وتعمير الصحراء الغربية » ٧ ـ ٩ مايو ١٩٧٨ ص ٢ ٠

وواضح من معالم هذا التقرير أن بدو الصحراء الغربيـة مازالوا يحترفون المهن التقليدية للانسان البدوى برغم توفر الموارد المتاحة للتنمية هذا يشير الى انعـدام صفة المبادأة نحو تغيير واقعهم الاقتصادى ما لم يحـدث تدخل مباشـر من جانب السلطة لتنميـة الموارد الاقتصادية حيث ينع ذلك تنمية السلوك الفردى والجمـاعى بواكب الوضعية المستحدثة وقد أتيح للبـاحث فرصة الالتقاء بهؤلاء البـدو صيف عام ١٩٧٥ ضمن فريق من الباحثين الذين يدرسون امكانيات تنميـة منطقـة الساحل الشـمالى وقـد لاحظ ان سـكان الصحراء مازالوا يعيشون فى الخيـام ومازالت وظائفهم التقليـدية فى الرعى هى لم تتغير وقـد لمس حاجتهم الماسة الى جرعات قوية من التنميـة الاقتصـادية والاجتماعية لـكنهم غير مستعدين للبدو فيها من تلقاء انفسهم وان أحوج ما يحتاجون اليـه زيادة المـوارد المائيـة لاستزارع الارض ومعنـاه الرغبة فى الاستقرار وما يستتبع ذلك من تغير شامل فى العادات والتقاليد ٠

وفضلا عن ذلك فقد لاحظ الباحث ظهور شكل من أشكال الحساسية بين البدو وأبنـاء الوادى حيث يعتبر البدو أن هذه المناطق ملكا لهم وأن ابناء الوادى لديهم سلوكيات معينـة مغايرة ولذلك فقد لاحظ الباحث قوة شوكة البدو فى هذه المناطق وغلبتهم على السكان بين أبنـاء الوادى الذين يخشـون بأسهم لدرجة أن السلطـة تتمشى مع عادات وتقاليـد القبـائل البـدوية وتراعى نظامهم الاجتماعى وقيمهم التقليدية ، بل أن تترك لشيوخ القبـائل حـرية اختيـار ممثليهم فى المجـالس الشعبية بدائرة المحافظة « مطروح » ٠

كما لاحظ الباحث عنـد زيارته لاحـد الجمعيات التعاونية الزراعية المنتشرة فى منطقة الصحراء أن البـدو على أستعداد كامل للتعـاون مع الجمعيـة شريطة أن توفر لهـم لموازمهم من الاعلاف والتقـارى ٠٠ الخ وبدون حـدوث ذلك لا يعيرون الجمعية أدنى أهمية تذكر وهـذا يشير الى النظرة النفعية للانسان البدوى ولكن طالمـا عادات عليـه ومن ثم المجتمع

البدوى بالنفع للانسان خاصة اذا استطاع أن يعاون فى دعم التعاونيات خاصة وأن البعض من هؤلاء البدو لديه موارد مالية طائلة ٠

كما أن الباحث موافق على ما جاء فى تقرير الدراسة من حيث المعوقات التى تواجه هذه المنطقة وعلى سبيل المثال فان المعوقات الثقافية تمثل عقبة ـ الى جانب المعوقات المادية وأبسط مثال لذلك أنه مع اجراء مناقشة مع أحد شيوخ قبائل مطروح أوضح أنه يفضل أن ينسحب ابنه من المدرسة الابتدائية اذا وجد أى العمال من جانب معلمه ٠ فضلا عن ذلك يفضل أن يعمل راعيا للاغنام فى البوادى والقفار متحملا شظف الحياة وقسوتها على أن يدخل الخدمة الحكومية لانه لم يألف الخضوع لاحد أو التقيد بظروف المهنة ٠

وهكذا نخلص الى القول بوجود علاقة وظيفية بين التوطين ـ حركة التنمية البدوية وذلك باعتابر أن التوطين يمثل الخطوة الأولى للاستقرار ومن ثم التفكير فى تنمية الموارد المتاحة بما يعجل بحدوث تغييرات جوهرية فى بناء المجتمع البدوى اذا تم ذلك فى داخل هذا المجتمع أو فى طبيعة البناءات الاجتماعية المستحدثة اذا تم نقل البدو الى مناطق مستحدثة دليل الباحث فى ذلك ما هو ملاحظ فى مجتمع البحث من ربط بين تنمية المنطقة التى أقام فيها البدو تلقائيا واستوطنوا فيها خاصة مع اتساع مساحتها وتعددت رغبات وحاجات السكان أو ما هو ملاحظ بين بدو الساحل الشمالى الغربى من الضرورة الملحة لتنمية هذه المناطق حتى يمكن احداث شكل من أشكال الاستقرار والتوطن للبدو الرحل فيها ، ومعنى ذلك أن هناك تغيرا اجتماعيا مصاحبا لحركة توطن البدو أو توطينهم وهذه قضية البحث الرئيسية التى يجرى مناقشتها فى ضوء النظرية الاجتماعية للتعرف على درجة حدوث هذا التغير ومستواه ومداه ومستقبله ٠